المعاني القرآنية في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء

أ. صافية كساس

جامعة تيزي وزو

مقدمة: لقد دفعت الثورة الجزائرية الكثير من الأدباء إلى إثبات ذواتهم في الحياة الفكرية والسياسية، وهي التي أفرزت جيلا من الشعراء التزموا بقضية الثورة، وذادوا عنها بالفكر والشعر والنفس، وكان "**مفدي زكرياء**" (1908 م - 1977 م) شاعرا فاق غيره في هذا الميدان حين أحس بالثورة قبل أن ينتبهوا إليها، وقبل أن تضرم نيرانها، فأضحت هي الهدف والمبتغى، وبرز ذلك جليّا في دواوينه كـ: "اللهب المقدس، إلياذة الجزائر ...الخ"؛ ومن خلال قراءتنا لهذه الأخيرة: "إلياذة الجزائر" ندرك جيدا مدى تشبع شاعرنا بالمبادئ الأخلاقية والقيم العليا من بيئته الدينية المحافظة، فتشرب العلم والدين والتربية الصحيحة، ومن ثمّ بزغ شاعرا مترفّعا، متساميا عن الدنايا والخطايا، حيث نجد في شعره دلائل كثيرة عن تأثره بالقرآن ومبادئه من خلال الاقتباس للكلمات والمعاني الإسلامية، وفي مواضيع شتّى، وهو دليل على أنّ الثورة قامت على قيم ومبادئ إسلامية فكرا، وسلوكا، وممارسة، وقد التزم مفدي زكرياء بهذه القيم الدينية، ورصد الإيقاع الإنساني لشعب ثائر، ونبض حيّ يتطلع إلى الحرية والتحرر، فأين يكمن هذا التأثر؟ وما مدى استعماله للمعاني القرآنية في شعره؟

حياته: هو مفدي زكريا بن سليمان [1]، أديب وشاعر وسياسي جزائري عرف بلقب: "شاعر الثورة التحريرية الجزائرية"، و"شاعر وحدة المغرب العربي"؛ لقبه آل الشيخ أو "آث الشيخ"، ولد سنة 1908م، بل ذهب بعضهم إلى تحديده

بدقة، وهو يوم الجمعة 12 جمادى الأولى 1326 هـ الموافق 12 يونيه/حزيران 1908م ببني يزقن من قرى وادي ميزاب، ولاية غرداية بالجنوب الجزائري و"مفدي زكرياء" ليس الاسم الفعلي للشاعر، حيث كشف الباحث الجزائري يحيى الشيخ صالح أن "مفدي زكرياء لم تكن كنية الشاعر الجزائري الحقيقية، بل إن أصل هذه التسمية تونسي؛ أما اسمه كما جاء في قائمة أسماء البعثة العلمية الميزابية إلى تونس فهو: "زكريا الشيخ"، وقد أطلق عليه اسم "مفدي زكرياء" في تونس، ولهذا الاسم دلالة على توجهه الثوري الرافض، ويشير صالح إلى أن التسمية تركت أثرا عميقا في شخصية مفدي زكرياء الذي حاول أن يكون اسما على مسمى، وأن تكون هذه "الكنية" وصفا صادقا له وتجسّد ذلك في شعوره النضالي، وقيامه بأدوار الفداء، والتضحية بشكل عميق وفعّال [2]"، كما لُقّب بابن تومرت، وهو اسم مؤسس دولة الموحدين في المغرب.

ومنذ نشأته شبّ على تعاليم الدين الإسلامي، ونهل من العلوم الإسلامية وحفظ القرآن الكريم - وسيكون لهذه النشأة الدينية الأثر الواضح في شعره فيما بعد- حيث بدأ مفدي زكرياء مساره في مسقط رأسه متعلما بكتّاب البلدة، فحفظ جزءا من القرآن ومبادئ العربية والفقه، ثم اصطحبه والده معه وهو ابن سبع سنين إلى مدينة عنابة شمال شرق الجزائر التي كان تاجرا بها وفيها أتمّ حفظ القرآن، ثم جعل يتردد بينها وبين مسقط رأسه، ولم تنتظم دراسته حتى سنة 1922م، إذ قرر والده إرساله إلى تونس [3]، فالتحق بمدرسة السلام القرآنية، وبعد سنتين انتقل إلى المدرسة الخلدونية، ثم تحول إلى جامع الزيتونة، وأخذ عن علمائها دروس اللغة والبلاغة والأصول، وكان خلال ذلك طالبا ذكيا نجيبا، برزت مواهبه الشعرية مبكرا، وشغف بندوات الشعر والأدب، كما كان يتلقف ما يصل إلى تونس من مجلات شرقية تبعث النخوة والوطنية فيتشربها، ويتخذ مواضيعها مجالا للتدرب على الإنشاء والكتابة نثرا وشعرا، حيث كان يعرض شعره على أساتذته في البعثة العلمية الميزابية بتونس

لتقويمه، حتى انقاد له القريض فتخرج سنة 1926م من جامع الزيتونة العريق تعرّف من خلالها على أدباء وشعراء ربطته بهم علاقة قوية، منهم التونسي: أبو القاسم الشابي، والجزائري: رمضان حمود؛ حيث تعدّ فترة مكوثه بتونس مرحلة التكوين الأصيل التي وجهته التوجيه الأدبي والسياسي بعد ذلك فاكتمل وعي مفدي زكرياء الأدبي، وبلغ أعلى قمم شعره وهو في تونس التي ألهمت قريحته أجود أشعاره وأقواها، فنشر بواكير أعماله في الجرائد والدوريات التونسية خلال العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي حتى غدا رمزا من رموز تونس الأدبية وعلما من أعلامها، اتخذ من الكلمة وسيلة لمحاربة الاستعمار الغاشم الذي سعى إلى طمس الهوية المغاربية.

عاد مفدي زكرياء إلى وطنه سنة 1926م لينغمس في أتون الحياة السياسية المتأججة في الجزائر آنذاك، وترأس تحرير جريدة الحياة عام 1933م، كما انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان من شعرائها المرموقين، وقد تتابعت قصائده في صحفها ومجلاتها، ثم رافق الحركة السياسية الوطنية مناضلا بقلمه ولسانه، فكان شاعر الحرية والنضال والدعوة إلى التضحية والفداء في سبيل عزة الوطن وحريته، حيث عيّن رئيسا في اللجنة التنفيذية لحزب الشعب، ثم أمينا عاما له سنة 1937م، وألّف خلال تلك الفترة ما كان يعرف بنشيد الانطلاقة ونشيد الحزب: "فداء الجزائر"؛ وبسبب إشرافه على "جريدة الشعب" زجّ به في السجن سنة 1937م، ثم توالى دخوله للسجون الفرنسية بالجزائر خلال فترة الاستعمار، حيث اعتقل مفدي زكرياء عديد المرات؛ سجن سنة 1937م ودام سجنه حتى سنة 1939م، وسجن من جديد سنة 1940م بتهمة المساس بأمن الدولة ودام حبسه ستة أشهر، كما سجن مرة ثالثة سنة 1945 إثر حوادث 8 آيار/مايو الدامية لمدة 3 أشهر وسجن سنوات: 1949م، 1951م، 1956م، وتعتبر هذه المرحلة من حياة الشاعر مرحلة كفاح عصيبة ذاق خلالها مختلف أنواع التعذيب والتنكيل، كما صودرت جل

ممتلكاته، إلا أن ذلك لم يحبط من عزيمته شيئا بل زاده تعنتا وإصرارا للمضي قدما، فبقدر ما كان الاحتلال الفرنسي يمعن في تعذيبه ويتفنن في التنكيل بالجزائر وتونس يزيد الشاعر من قوة كلمته ومن حماسة شعره، وقد كتب خلال تلك الفترة أهم أشعاره ومنها: النشيد الوطني الجزائري "قسما" سنة 1956م. شارك الشاعر في تظاهرات المغرب الأقصى إثر وفاة محمد الخامس...وأقيمت له لقاءات أدبية تلفزيونية وإذاعية...تغنى بوطنه في شعره فتجسد من خلال حبه لوطنه وتفانيه لهذا الوطن وحرصه الكامل على وحدة المغرب العربي الكبير وقد تجلى كل ذلك في آثاره حتى بزغ فجر الحرية فاستقر بالجزائر في نشاط وفتح مكتبا للتمثيل التجاري، ولكنه كان عاثر الحظ في هذا المجال، ولم تسعفه الظروف للاستقرار، فتوجه إلى تونس سنة 1963م، ومكث بها إلى سنة 1969م حيث يمم شطر المغرب واستقر بالدار البيضاء، وفتح مدرسة للتعليم الثانوي، وفتح خطا لنقل البضائع. وظل يجمع كما دأب طول حياته بين أعماله التجارية والإدارية وإبداعاته الأدبية، وتردد كثيرا بين أقطار المغرب العربي مشاركا في تظاهراته ونشاطاته الثقافية والسياسية، وشارك بشعره ومناقشاته في جل ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر. وختم حياته برائعته الخالدة "إلياذة الجزائر" جمع فيها ما تفرق في غيرها، وأبرز فيها لوح الجمال ولوح الجلال، جمال الطبيعة الساحر، وجلال التاريخ الزاخر، وكانت وفاته يوم الأربعاء 02 رمضان 1397هـ الموافق 17 أوت 1977 م بتونس، وعمره تسعة وستون عاما، ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن بمسقط رأسه في بني يزقن - ولاية غرداية.

آثار مفدي زكريا: لمفدي زكريا آثار كثيرة منها الشعرية والأدبية، فمن الدواوين الشعريّة نذكر: اللهب المقدس الذي صدر سنة 1961م، وتحت ظلال الزيتون سنة 1965م، ومن وحي الأطلس 1976م، وإلياذة الجزائر في ألف بيت وبيت 1972م، وأمجادنا تتكلم: تحقيق مصطفى بن بكير حمودة، وتقديم

رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة؛ ولزكرياء بعد هذه الدواوين الخمسة جانب شعر كثير لا يزال متفرقا في الصِّحافة الجزائرية، والتونسية والمغربية، ودواوين معدة للطبع (أو طُبعتْ بعد ذلك) منها: أهازيج الزحف المقدس (أغاني الشعب الجزائري الثائر بلغة الشعب)، و"انطلاقة" ديوان المعركة السياسية في الجزائر من عام 1935م ـ 1954م، و"الخافق المعذب" من شعر الهوى والشباب، ومحاولات الطفولة التي كتبها الشاعر في صباه، كما كتب مفدي زكريا الأناشيد الوطنية، ومنها النشيد الوطني الجزائري، ونشيد العلم الجزائري، ونشيد جيش التحرير الوطني، ونشيد المرأة الجزائرية، وغيرها من الأناشيد.

هذا بالنسبة للشعر، أما نثره فيتمثّل في: تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتحقيق: أحمد حمدي، كما كتب مفدي مسرحية بعنوان: "الثورة الكبرى"، واشترك مع الأديب التونسي الهادي العبيدي في تأليف كتاب: الأدب العربي في الجزائر عبر التاريخ (أربعة أجزاء)، وفي كتاب: "أنتم الناس أيها الشعراء"، كما شارك الأديب التونسي الحبيب شيبوب في تأليف كتاب: "صلة الرحم الفكرية بين أقطار المغرب العربي الكبير"، وبمشاركة المؤرخ التونسي محمد الصالح المهيدي كتب عن أقطاب الفكر المغربي على الصعيد العالمي وغيرها من الأعمال المشتركة؛ ومن أعماله النثرية: نحو مجتمع أفضل، وست سنوات في سجون فرنسا، وحواء المغرب العربي الكبير في معركة التحرير وقاموس المغرب العربي الكبير (في اللهجات المغربية)، وعوائق انبعاث القصة العربية، وقصة اليتيم في يوم العيد، والجزائر بين الماضي والحاضر، وأضواء على وادي ميزاب، والكتاب الأبيض، وغيرها.

منابع ثقافة زكرياء والروافد التي استقى منها:

- ✓ القرآن الكريم؛
- ✓ التراث العربي الإسلامي؛

- ✓ البيئة المحافظة؛
- ✓ التحدي الاستعماري لاجتثاث المجتمع الجزائري من ثوابته ومقوماته.

حيث إنّ المطلع على آثار مفدي زكريا، خاصة منها قصائده الشعرية يدرك بجلاء أثر المصادر الدينية الإسلامية فيها، خاصة تأثير القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة، والتاريخ الإسلامي الحافل بالأمجاد والبطولات؛ كما أن آثار مفدي الأدبية، لا تخلو من معانٍ فلسفية تتجلى في الفكرة العميقة والحجة القوية، والنقد الجريء، ناهيك عن الرؤية الشاملة في تناول الموضوعات مما ينم عن عبقريته المتفردة. إلى جانب هذا فإن آثار مفدي مملوءة بالتوجيهات التربوية؛ وكانت الأخلاق هي معجزة البرايا كما يراها شاعرنا مفدي زكرياء [4]، ويكمن ذاك في الفضائل من خير، وحق، وجمال وعدالة وحرية [5]، فآثاره وشعره بالأخص يعد مدرسة لتربية الأجيال، تبث القيم النبيلة الداعية للتشبث بالأصالة والروح الوطنية، والسعي للذود عن الدين والوطن.

إلياذة الجزائر: كتب شاعر الثورة مفدي زكرياء رائعته: "إلياذة الجزائر"، وألقاها لأول مرة في جلسات الملتقى السادس للفكر الإسلامي المنعقد في قصر الأمم بالجزائر العاصمة في شهر جويلية 1972، حيث "أنشد مفدي بصوته ستمائة وعشرة أبيات من الإلياذة، وذلك في افتتاح الملتقى السادس للفكر الإسلامي في قاعة المؤتمرات –قصر الأمم- نادي الصنوبر يوم 24 يوليو 1972م، وبعد ذلك واصلت الإلياذة مسيرتها [6]"، إذ في السنة نفسها صدرت الإلياذة في واحد وستين (61) مقطوعة، تضم ست مائة وأحد عشر (611) بيتا وفي السنة الموالية (1973م) صدر نصها الكامل في مائة (100) مقطوعة، تضم ألف بيت وبيتا (1001) من الشعر، أي واصل زكريا نظمها إلى أن بلغت الواحد بعد الألف؛ كتبها الخطاط الأستاذ: عبد المجيد غالب، وكتب تقديمها المرحوم الأستاذ: مولود قاسم نايت بلقاسم الذي كان وزيرا للشؤون الدينية آنذاك وكانت له مساهمة فعالة في ميلاد الإلياذة بما كان ينفح به زكرياء من حقائق

التاريخ ليصوغها شعرا نابضا بالحياة، بالاستعانة بالمؤرخ التونسي الكبير عثمان الكعاك؛ ثم توالى من بعد صدور طبعات مصورة طبقا لأصل طبعة سنة 1973م، وذلك في السنوات التالية: (1986م، 1987م، 1992م، 1995م 2001م، 2002م). وتعتبر هذه الإلياذة رائعته الخالدة، وهي قصيدة مميزة طويلة، تروي تاريخ الجزائر في قالب شعري منذ سنة 300 قبل الميلاد إلى تاريخ نظمها. وقد أطلق عليها هذه التسمية السيد مولود قاسم مصرحا بقوله: "وسميناها إلياذة الجزائر، وإن كانت تمتاز عن إلياذة هوميروس بالفارق العملاق، فبينما هذه الأخيرة أي الإلياذة اليونانية تروي الأساطير، نجد الإلياذة الجزائرية قد خلدت أمجادا حقيقية، وسطرت تاريخ وقائع وأحداث هي من روائع الدهر لا من خلق الجن، ولا من اصطناع شاعر، ولكن من صنع الإنسان الجزائري في الميدان [7]".حيث ترجمت لنا الإلياذة عقليات وموضوعات تلك الفترة وحملت لنا تاريخها بوصفها لطبيعتها، وحروبها، وحضارتها بكل ما تحتويه.

موضوع الإلياذة: إن موضوع الإلياذة هو الجزائر بطبيعتها، وعمرانها وتاريخها القديم والحديث، وأبياتها تنقسم إلى موضوعات جزئية تحددها المقاطع، وهي كالآتي [8]:

- 1- طبيعة الجزائر وعمرانها: وهي تستغرق تسعة عشر (19) مقطعا.
- 2- تاريخ الجزائر القديم من قبل الميلاد إلى بداية الاحتلال الفرنسي: تستغرق خمسة عشر (15) مقطعا.
- 3- مقاومة المستعمر ابتداء من الاحتلال إلى قيام الثورة المسلحة سنة 1954م: وهي تستغرق ستة عشر (16) مقطعا.
- 4- الثورة المسلحة إلى الاستقلال من 1954م إلى 1962م: وهي تستغرق خمسة عشر (15) مقطعا.

❖ 5- ثورة البناء واسترجاع الاستقلال: وقد خصّ لها خمسة وثلاثين (35) مقطعا.

وكما أشرنا فإنّ كل هذه الأجزاء تتمحور حول موضوع واحد كلي هو: "الجزائر"، مضمونها ملحمي يحكي قصة الشعب الجزائري، وكفاحه ضد الاحتلال الأجنبي باختلاف أنواعه وشتّى أزمانه، تعبر عن الجماعة وتصور الأحداث الجماعية، وحتى في تناولها فردا معيّنا يكون الهدف البعيد الجماعة التي ينتمي إليها. والذي نلمسه من خلال اطّلاعنا على أسلوب الشاعر أنه ابتعد عن أسلوب السرد القصصي، ووقع في أسلوب الوعظ والإرشاد، وخاصة عند حديثه عن المشاكل الاجتماعية بعد الاستقلال، وهذا ما يقلل من قيمة العمل الملحمي.

الخصائص الملحمية في إلياذة الجزائر: يمكن تقسيمها إلى العناصر الآتية [9]:

➢ **1- العنصر القصصي**: وقد بدا باهتا على الرغم من المجهودات المبذولة من قبل الشاعر لإنجاحه، والسبب كما يلاحظ هو الاختصار بالنسبة للموضوع المتناول، فقد تطرق زكرياء إلى تاريخ الجزائر "من القرن الثالث قبل الميلاد إلى العقد السابع من القرن العشرين [10]" وهذا لا يتأتى في هذه العجالة من الأبيات إلا لشاعر بارع مقتدر حقا.

➢ **2- الموضوعية**: وقد تجسدت بصورة عامة في الإلياذة، وذلك بتناولها تاريخ الجزائر وأبطاله، ولم يكن هذا العنصر مطبقا من بداية الإلياذة إلى نهايتها، إذ نسجل بعض التداخلات من قبل الشاعر ليتكلم عن نفسه.

➢ **3- الخوارق**: لا نلمس هذا العنصر كطابع عام في إلياذة الجزائر وذلك لالتزامها الدقة التاريخية وحتى خوارق الأعمال التي يقوم بها الأبطال والمجسدة في الوصف الطبيعي، وهي لا تخرج عن حرفية التاريخ ولا عن

التخطيط الجغرافي، أما الخوارق المعهودة في الأعمال الملحمية فلا نكاد نعثر عليها إلا في إشارات عابرة كما جاء ذلك في قوله في أثناء حديثه عن المدينة:

مَلاَئِكَةَ اللّهِ هَلْ نَقلُوهَا أَجَل مَنْ رَأَى حُسْنَهَا صَدَقَا

وفي إشارة أخرى من هذا النوع قال في حديثه عن جمال تلمسان [11]:

أَفِي رَفْرَفِ الْخُلْدِ؟ قَدْ وَجَدُوا تِلِمْسَان...فَاخْتَطَفُوهَا اخْتِطَافَا؟؟؟

- **4- البطولة**: وقد تمثلت في الإلياذة أحسن تمثيل، وهي بطولة متطورة تساير مقتضى الحال، بالإضافة إلى أنها بطولة اجتماعية لا فردية.
- **5- العنصر الديني**: وهو من الركائز الأساسية المعتمدة في إلياذة الجزائر، وإذ كان الدين في إلياذة هوميروس متمثلا في تعدد الآلهة، فإن الدين في إلياذة مفدي هو الدين الإسلامي، وأصدق مثال على ذلك مطلع الإلياذة [12]:

جَزَائِرُ يَا مَطْلَعَ الْمُعْجِزَات وَيَا حُجَّةَ اللّهِ فِي الْكَائِنَات

ويمكن تتبع ذلك بالتفصيل من خلال الألفاظ الدينية التي تواجدت بشكل مطّرد جدا في جلّ أشعاره، وفي إلياذته خاصة، فكيف كان هذا التأثر؟ وما هي الآيات التي اقتبس منها؟

تأثره بالقرآن الكريم في تأليف الإلياذة: يستخدم مفدى زكرياء أسلوب الاقتباس من الآيات القرآنية، وهي سمة مميزة لشعره تشهد بقدرته على الاستقاء من هذا النبع الفياض الذي نعرفه لدى الشعراء الذين حفظوا كتاب الله، واستوعبوا التراث اللغوي والتعبيري في الأدب العربي بما وهبوا من طاقة شعرية، ويظهر ذلك في مدى توفيقه في استخدام ألفاظ من كتاب الله في رائعته: "إلياذة الجزائر" في عدة أبيات منها، وذلك في مثل قوله [13]:

وَيَلْتَفُّ سَاقٌ بِسَاقٍ، فَنَصبُو فَيَغْمُرُنَا مُلْتَقَى الْفِكْرِ نُصْحَا

حيث تأثر في هذا البيت بقوله تعالى: **(وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)** (القيامة: الآية 29).

وقال [14]:

فَيَخْجَلُ هَامَانُ مِنْ صَرْحِهِ وَيَعْجَزُ أَنْ يَبْلُغَ الْمُشْتَهَى

تأثر بقوله عزّ وجلّ: **(وَقَالَ فِرْعونُ يَا هَامَان ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِي أَبْلُغُ الأَسْبَاب)**" (غافر: الآية 36).

وقال كذلك في إلياذته [15]:

وَسَبَّحَ للّه مَا فِي السَّمَا وَاتِ، وَالْأَرْض، مِلْءُ شَفَائِف شَفَا

حيث أخذ هذا من قوله سبحانه وتعالى: **(سَبَّحَ للّه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)** (الحشر: الآية 1).

وهو كذلك من قال [16]:

وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا فَطَارَ بِهَا العِلْمُ ...فَوْقَ الخَيَال

حيث اقتبس من قوله تعالى: **(إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا)** (سورة الزلزلة: الآيتان 1 و2).

وقال أيضا [17]:

وَأَوْقَفْتُ رَكْبَ الزَّمَانِ طَوِيـــــلاَ أُسَائِلُهُ عَن ثَمُودَ ..وَعَاد

وَعَنْ قِصّةِ الْمَجْدِ ...مِنْ عَهْدِ نُوحٍ وَهَلْ إِرَمُ ...هِيَ ذَاتُ الْعِمَادِ؟

حيث نرى هنا أثر الاقتباس واضحا وجليا من قوله تعالى في سورة الفجر: **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَاد إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يخْلَقْ مِثْلهَا فِي الْبِلاَدِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ)** (الفجر: الآيات: 9/8/7/6).

وقال كذلك متأثرا بقوله تعالى: **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَة إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة)** (سورة القيامة: الآية 22) [18]:

وَفِي قُدْس جَنَّاتُنَا النَّاضِرَة وُجُوهٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة

وقال كذلك مقتبسا من قوله جل وعلا من سورة يوسف: **(وَقَالَ المَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ)** (يوسف 43) [19]:

يَغْمُرُ أُسُنَ الشَّهْمِ ضَاقَ اصْطِبَارَا وَغَالب خَمْسِينَ عَامًا عِجَافَا

وقال أيضا [20]:

وَتغْرِي الْكَرَاسِي ضِعَافَ الْعُقُولِ كَنَارِ جَهَنَّمَ، تَرْجُو الْمَزِيدَا

حيث تأثر هنا بقوله تعالى: **(يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيد)** (سورة ق: الآية 30).

وهو من قال [21]:

وَذَوبُ الْعَرَاجِنُ فِي صَدْرِهَا عَلَى لَحْنِ جَدْوَلِهَا السَّلْسَبِيل

متأثرا بقوله تعالى: **(عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً)** (سورة الإنسان: الآية 18).

وقال [22]:

تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيْلَةَ قَدْرٍ وَأَلْقَى السِّتَارَ عَلَى أَلْفِ شَهْرِ

حيث تأثر بقوله سبحانه وتعالى: **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْر)** (سورة القدر: الآيات: من 1 إلى 5).

وقال كذلك متأثرا بقوله تعالى من سورة البقرة: **(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُم لاَ يَعْقِلُون)** (البقرة: الآية 171) [23]:

وَكَانَ الْفَرَنْسِيسُ صُمًّا وبُكْمَا وَعُمْيَا، فَأَصْغَى لَنَا منْ تمَارى

وقال أيضا متأثرا بقوله تعالى من سورة الرحمن: **(سَنَفْرُغُ لَكُم أَيُهَا الثَّقَلاَن)** (الرحمن: الآية 22) [24]:

سَلاَمٌ عَلَى الْبَغْلِ، يَعْلُو الْجِبَالَ ثَقِيلاً، فَيُكْبِرُهُ الثَّقَلاَن

وقال كذلك مقتبسا من قوله تعالى: **(وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً)** (سورة الأنعام: الآية 116)، ومتأثرا بقوله عزّ وجلّ: **(إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَة لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَة)** (سورة الواقعة: الآيتان 1 و2) [25]:

وَتَمَّتْ بِهَا كَلِمَاتُ الْإِلَهِ الَّتِي وَقَعَت بِاسْمِهَا الْوَاقِعَة

وقال [26]:

مَنَارَاتِ عِلْمٍ بِعَرْضِ الْبِلاَد فَفِي كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ مَنَارَة

حيث اقتبس متأثرا بقوله تعالى: **(وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)** (سورة الحج: الآية 27).

كما قال مفدي في إلياذته [27]:

وَأَلْقَيْتُ فِي السَّاحِرِينَ عَصَا ... يَ، تَلْقَفُ مَا يَأْكُلُونَ بِسِحْرِي

إذ تأثر بقوله تعالى: **(فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ، فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْكُلُونَ)** (الشعراء 45).

وقال [28]:

وَقَالُوا هَجَرْتَ رُبُوعَ الْبِلاَدِ ... وَهمت مَعَ الشُّعَرَاءِ فِي كُلِّ وَادِي

متأثرا بقوله تعالى: **(وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُم الْغَاوُون، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُون وَأَنَّهُم يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُون)** (سورة الشعراء: الآيات: 224، 225، 226).

وكذلك هو يقول [29]:

وَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ... وَضَجَّ لِغَاصِبِكَ النَّيرَان

حيث يبدو هنا متأثرا بقوله تعالى: **(إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا)** (سورة الزلزلة: الآية 1).

ومن هنا نستنتج أن ثقافة مفدي زكرياء الدينية العربية قد صقلت موهبته، وأثرت على أسلوبه، فألفاظ القرآن الكريم والشعر العربي مجسدة في شعره مميزة لأسلوبه، وهو دليل على أنّ الثورة قامت على قيم ومبادئ إسلامية فكرا، وسلوكا وممارسة، وقد التزم مفدي زكريا بهذه الأخلاق، ورصد الإيقاع الإنساني لشعب ثائر ونبض حيّ يتطلع إلى الحرية والتحرر؛ حيث تشبع شاعرنا بالمبادئ الأخلاقية والقيم العليا من بيئته الدينية المحافظة، فتشرب العلم، والدين، والتربية الصحيحة، إضافة إلى تربيته الإبداعية المثلى التي انطبعت في نفسه فبزغ شاعرا مترفعا متساميا عن الدنايا والخطايا، حيث كان للتعلّم دور في تنمية إحساسه الجمالي، وفي إذكاء علمه وفكره.

1- ينظر مفدي زكريا، اللهب المقدس، ومحمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضـــــال والثورة ص 7. ويحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا – دراسة فنية تحليلية – ص 38/ 39.

2- شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء في أحضان تونس - http://www.alhiwar.net.

3- ينظر: حواس برّي، شعر مفدي زكريا -دراسة وتقويم- الجـزائـر: 1994م، ديـوان المطبوعـات الجـامعية، ص35- 39- 50-51.

4- ينظر: مصطفى عبده، مقدمة في فلسفة الأخلاق، ط 2. القاهرة 1999، مكتبة مدبولي، ص 22.

5- فايزة أنور أحمد شكري، القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم، مصر: 2002، دار المعرفة الجامعية، ص82 ، 89.

6- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المقدمة، ص 12.

7- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المقدمة، ص 12.

8- يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا – دراسة فنية تحليلية – ص 209.

9- نور الهدى لوشن، إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء -دراسة دلالية-، رسالة دكتوراه، الجزائر: 1990، ص 55، 56.

10- يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء – دراسة فنية تحليلية – ص 249.

11- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، الجزائر: 1987، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص51.

12- نفسه، ص 19.

13- مفدي زكريا، ص 26.

14- نفسه، ص 32.

15- نفسه، ص 34.

16- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص 36.

17- نفسه، ص 37.

18- نفسه، ص 46.

19- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص 53.

20- نفسه، ص 65.

21- نفسه، ص 75.

22- نفسه، ص 69.

23- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص 80.

24- نفسه، ص 81.

25- نفسه، ص 83.

26- نفسه، ص 113.

27- مفدي زكريا، إلياذة، ص 115.

28- نفسه، ص 117.

29- نفسه، ص 118.